

دراسة لغوية وأسلوبية لسورة لقمان

علي رضا محمدرضايي^{١*}، سكينه الحسيني^٢

١. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فرديس الفارابي

٢. طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فرديس الفارابي

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/١١/٧؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/١٢/١٤)

الملخص

دقة اختيار العناصر اللغوية في القرآن وحسن توظيفها مما يمتاز به القرآن الكريم. إن هذه العناصر تقع في سلسلة دلالية، يساهم كل واحد منه في أداء وظيفته داخل إطار المواضيع العديدة التي تعالجها كل سورة بمثل ما تعالجها سورة لقمان من المواضيع منها: التوحيد والشرك والكفر والصلاة والمعاد والبعث بأساليب مختلفة منها: الاستفهام والنداء والحذف والذكر والتكرار وغيرها... بما أن هذا المقال يدرس السورة على أساس المنهج الفني دراسة لغوية وأسلوبية فهي تعالج الموضوع أسلوبياً: أي تدرس فيها القيم اللغوية وبعدها الدلالي، والقيم التركيبية وبعدها التعبيري، والقيم الجمالية وبعدها التأثيري، كما تتحدث المقالة عن الحقول الأسلوبية باعتبار الأسلوب انحرافاً عن الأصل والقاعدة وباعتباره تواتراً أو نوعاً من التكرار في الأنماط اللغوية وباعتباره استخداماً للإمكانات النحوية. تشير النتائج إلى الحضور المكثف للحروف التي تناسب دلالتها الأجواء العامة الحاكمة عليها دلالة ومضمونا، كما تشير إلى الكشف عن القيمة الصوتية النابعة عن النص والنسق.

الكلمات الرئيسية

الأسلوبية، التركيبية، الجمالية، سورة لقمان، القيم اللغوية.

مقدمة

إنّ سورة لقمان سورة مكية بشهادة سياق آياتها، وهي أربع وثلاثون آية، جاءت فيها عدة موضوعات من التوحيد والشرك والكفر والصلاة والمعاد والبعث، إنّ القرآن الكريم لبيان هذه الأمور استخدم أساليب متعددة منها: أسلوب الاستهزام والندي والحذف والتكرار وغيرها. كما أنّ القرآن الكريم معجزة خالدة لكل العصور، يجب الانتباه بلغة الخطاب فيه، فالقرآن الكريم هو أثر قيم، لا في مفرداته وألفاظه فقط بل في تركيب هذه الأساليب والمفردات وانسجامها. (الجبوري، ٢٠٠٥م: ١٨٨)

فإنّ الدراسة الأسلوبية تفيدنا كثيراً في فهم النصوص القرآنية والكشف عن الجماليات الموجودة فيها. إنّ النصّ القرآني يأخذ بعضه برقاب بعض وفي كل مكونات النصّ القرآني نجد النظام نفسه: الصوتي والصرفي والتركيبية... وهذا سبب الترابط والجمال والعذوبة، وهذا النظام هو من أسباب حفظ القرآن منذ نزوله حتّى الآن. (العقيلي، ٢٠١٠م: ٨) من أهمّ وجهات النظر القديمة الحديثة اعتبار الأسلوب وعاءً لإحتواء المعنى المراد بداخله فاللغة ثوب المعنى والأسلوب زي هذا الثوب. «إنّ الأسلوب ما هو إلا فن نقل المعنى بشكل واضح أياً ما كان هذا المعنى» (حسن غزالة، ١٩٩٨م: ٣٩). الأسلوبية تركز على اللغة لذاتها فالأسلوبية تقوم على توصيف الخصائص، وهي تتناول ما هو في لغة النصّ. (الغذامي، ١٩٩٨م: ٢٠) وقد كان يرى سوسير أنّ اللغة خلق إنساني ونتاج للروح وأنها اتصال ونظام رموز تحمل الأفكار ويعرّف "كارترا" الأسلوب بقوله: يتأتى الأسلوب من التداخل للتأثيرات الأسلوبية فيعدّد من مستويات اللغة وهكذا يمكن إعطاء هذا التعريف الشامل المبسط للأسلوب: "الأسلوب مجموعة الوظائف الأسلوبية - اللغوية المنتقاة من العناصر القواعدي المعجمي والصوتي والشكلي للغة. إنّ الجملة والنص هما عماد التحليل اللغوي الأدبي الذي وجد في الأسلوبية التي تحلل الأشكال والأسلوبية الأدبية التي تحلل المضامين. (جاغان، ١٩٧١م: ٢٤-٤٣) يكتسب الأسلوب القرآني قوّته من اختيار ألفاظه وموسيقاه. ومن استخدام ألوان التوكيد والتكرار والحذف والمبالغة، نشعر بهذه الفخامة في كل ما تناوله القرآن من الأغراض. إنّ عنصر الترتيب أي الترتيب الصيائي والمصرفي والنحوي يكون من إعجازات القرآن الكريم، ويتسم الأسلوب القرآني بالهدوء عندما يتطلب الأمر تأملاً، كما في الآيات التي تدعو إلى أعمال الفكر والتدبر: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...﴾ (لقمان/١٠).

﴿سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (لقمان/٢٩). ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ﴾ (لقمان/٨).

بما أن الاسلوبية احدى المتشعبات في الألسنة البنيوية وبما أن اللغة مركبة من عدد من المستويات المختلفة: الصوتية، والصرفية، والتركيبية وبما أن التحليل البنيوي ترك مجالاً واسعاً لدراسة تلك المستويات فقد درسنا هذه المستويات بالنظر إلى ساحة عمل الأسلوبية تحت عناوين القيم الثلاثة: القيم اللغوية والتركيبية والجمالية وما لكل واحدة منها من الأبعاد الدلالية والتعبيرية والتأثيرية. فعلى صعيد البعد الدلالي يعالج المقال دراسة المفردة والكشف عن طاقاتها التعبيرية قبل دخولها التركيب، وعلى صعيد قيم التركيب والبعد التعبيري يدرس المقال المفردة بعد دخولها في التركيب كما يدرس الجملة والآية والسياق وأساليب التعبير والظواهر الأسلوبية منها الاستفهام والنداء والحذف والذكر. وفي صعيد القيم الجمالية والبعد التأثيري يدرس مستوى الأداء الصوتي وتأثيره الجمالي في السمع وصلته بالمضمون والمستوى التصويري واثره الجمالي على الخيال والعقل والمستوى النفسي وأثره الوجداني في المتلقي.

وأما بالنسبة إلى خلفية البحث فقد تعددت الدراسات في السنوات الأخيرة في الكشف عن دلالات القرآن وفنونه وعُني بالمباحث الاجتماعية والتعليمية في سورة لقمان وأيضاً معالجة القضايا الأساسية مثل تربية الأولاد وعدم الشرك بالله ودراسة أصول المهارات الاجتماعية من وجهة نظر لقمان. ولم نحصل على دراسة لغوية أو أسلوبية تكون قد عالجت السورة بل عثرنا على بعض الدراسات من رسائل ومقالات:

- التناسب البلاغي في سورة لقمان، موسى بن درباش بن موسى الزهراني، جامعة أمّ القرى، كلية اللغة العربية، ١٤٢٤هـ. ق.
- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية على سورة (لقمان- السجدة- يس- الصافات- ص)؛ فاطمة محمد شلдан، غزّة، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، ١٤٣١هـ.
- أسس وأساليب التربية الوجدانية في سورة لقمان وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة؛ ماجد أيوب محمود القيسي، مجلة الفتح، جامعة ديالى، كلية التربية للعلوم الصرفة، العدد ٥٤، تموز ٢٠١٣م.

- لمسات بيانية لسورة لقمان؛ فاضل السامرائي (www.startimes.com)

وربما يصبح هذا البحث ذا أهمية، لوجود الانسجام والملائمة بين الصوت والمضمون التي تحقق جمالية لما تحتوي السورة كثيرا من القضايا الأسلوبية.

يهدف البحث إلى الكشف عن أهم خصائص الأسلوبية ودراسة المستويات المختلفة اللغوية والتركييبية وكشف العلاقات الموجودة بينها في سورة لقمان من خلال الاستشهاد بالآيات. كما يهدف إلى اكتشاف القيم في السورة تختبر فيها النظريات للكشف عن جماليات نص السورة وقابليتها لتقديم نموذج دراسي بالإجابة عن السؤالين التاليين:

١. كيف تأخذ القيم الثلاثة المذكورة أنفا في سلسلة دلالية بعضها برقاب الأخرى؟

٢. كيف تتمظهر الدلالة بدراسة تلك القيم تمظهدا تداوليا؟

وقبل أن نتطرق إلى تلك القيم الأنفة الذكر فلنتوقف قليلا عند أسباب نزول الآيات ومضمون السورة.

أسباب نزول الآيات

نزل قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ (لقمان/٦) في النضر بن الحرث بن كلدة كان تاجراً فيخرج إلى فارس لكي يشتري كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشاً ويقول: إنَّ محمداً يتحدث عن قوم عاد وثمود وأنا أتحدث لكم عن رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن. (الطبرسي، ١٣٧٢ش: ج٨/٤٩٠) ورؤي هذا المعنى في الدر المنثور عن البيهقي لا يبعد أن يكون ذلك سبب نزول السورة كلها. (الطباطبائي، ١٤١٧هـ: ٢١٢/١٦) ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي غَامِنٍ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ (لقمان/١٤) ابن شهر آشوب: عن أبان بن تغلب، عن الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَيَا لَوْلَا دَيْنٌ إِحْسَانًا﴾ قال: «الوالدان: رسول الله وآله ﷺ، وعلي عليه السلام». «نزلت في رسول الله وفي علي (عليهما السلام)». روي عن بعض الأئمة عليه السلام: «أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ» أنه نزل فيهما. لأنه عن النبي ﷺ: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة». (البحراني، ١٤١٦هـ: ٤/٣٧١-٣٧٢).

وهذه الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان/٢٢). ابن شهر آشوب: عن سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أنس بن مالك، في قوله تعالى: وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ، قال: نزلت في علي عليه السلام، قال:

كان أول من أخلص وجهه لله وهو مُحَسِّنٌ ومطيع في إسلام وجهه، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قول: لا إله إلا الله، ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ والله ما قتل علي ابن أبي طالب عليه السلام إلا عليها. (البحراني، ١٤١٦هـ: ج ٤/٣٨٠)

وهذا الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان/٢٧) عن عكرمة، قال: والآية جواب لليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح، فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء/٨٥). فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة، وفيها تبيان وحكمة كل شيء. ﴿مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة/٢٦٩). قال: فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ (لقمان/٢٧). قال: ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة، فهو كثير طيب، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: لما نزلت بمكة و﴿ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني اليهود؛ فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار اليهود، فقالوا: يا محمد أنك تقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الطبري، ١٤١٢هـ: ج ٢١/٥٢).

وهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ أَلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/٣٤). عن مجاهد ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾ قال: جاء رجل عند النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وقد أجدت بلادنا فمتى تخصب، فأخبرني متى السماء، تمطر؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني بأي أرض أموت، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَنْزِلُ أَلْغَيْثَ...﴾ إلى آخر السورة. (الطبري، ١٤١٢هـ: ج ٢١/٥٥)

مضمون سورة لقمان

إن موضوع سورة لقمان العقيدة والتوحيد والنبوة والبعث والنشور ومحورها يدور حول عدم الإشراك بالله، وبرّ الوالدين، وأهمية العبادة، وفهم حقيقة الدنيا، والأدب، والتربية، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واليقين بالآخرة: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (لقمان/٤). فإن ارتباط المحسنين بالخالق عن طريق الصلاة، ويخلق الله عن

طريق الزكاة، ويقىنهم بمحكمة القيامة دافع قوي على الابتعاد عن الذنب والمعصية، وباعث لأداء الواجبات. (مكارم الشيرازي، ١٣٧٤ش: ج١١/١٧) المحور الأساسي في هذه الآية ايجاد الارتباط العميق بين الله سبحانه وتعالى، وبين الناس.

١. بدأت هذه السورة بذكر القرآن الكريم الذي هو شفاء للمحسنين، وذكرت حال السعداء الذين اهدوا بالقرآن الكريم وحال الأشقياء الذين أعرضوا عنه وذهابهم عن سبيل الحق، كما بينت قدرة الله وتديره تعالى للسموات والأرض وما فيهما وما بينهما، من قوله تعالى: ﴿الْم﴾ (لقمان/١) ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان/٢) ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (لقمان/٣) إلى قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان/١١).

٢. تشتمل على مواضع لقمان الحكيم ووصاياه لابنه وفي هذه السورة ذم الشرك والأمر بمكارم الأخلاق والنهي عن القبائح والمنكرات وأهمية العبادة و الوصايا القيمة التي أنطقه الله بها، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان/١٢) إلى قوله تعالى: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (لقمان/١٧) ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان/١٩).

٣. كما بدأت السورة بتوحيد الله، فإنها ختمت بالتركيز على علم الله ونعمه ودلائل قدرته في الكون، يحذر المشركين مخبرة عن جلال الله وعظمته وكبريائه وفخامته فقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان/٢٠) إلى قوله تعالى: ﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/٣٤).

القيم اللغوية وبعدها الدلالي

للقيام بدراسة القيم اللغوية لا بد لنا أن نتعرض للجانب التصريفي، بالمباحث التي تنطوي تحته منها الاوزان الصرفية، الافراد والجمع: اي يدرس الجانب التصريفي بنية الكلمة بما نرى فيها من وحدات صغرى حاملة للمعنى، ومن قواعد تحكمها، ومن تغييرات تعترى عليها بالحركات والزيادة والنقصان والقلب والاشتقاق. البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت للغويين العرب وأثار انتباههم والأعمال الأدبية عند العرب من مباحث علم الدلالة، مثل

الحديث عن معاني القرآن أو الحديث عن مجاز القرآن (عمر، ١٩٩٨م: ٢٠). إن الجانب الصريح من الموضوعات التي يدرسها علم اللغة ويعتبر من أبرز الجوانب في التحليل البنيوي. معلوم أن كل العناصر غير الثابتة في اللغة الفنية يمكن أن تحمل إعلماً جمالياً. (عزام، ١٩٩٦: ٩٢) أو اتساعاً دلالياً كما نرى قد قيل في لفظ الحكيم الوارد في ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان/٢) انه: وصف الكتاب بالحكيم، اما لتضمنه للحكمة، قيل: او (فعل) بمعنى المحكم (الشبر، ٢٠١٢: ٦١٨)، وهذا يقل ان يكون (فعل) بمعنى (مفعل) (ابوحيان، ٢٠٠١م: ج٧/١٧٨-١٧٩)، كما يقول القرطبي: والحكيم: المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام. قاله ابو عبيده وغيره. وقال مقاتل: الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف. و يجوز ان يكون (حكيم) بمعنى (حاكم) أي: إنه حاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس بالحق، فعيل بمعنى فاعل، دليله قوله (القرطبي، ١٣٧٢ش: ج٨/٣٠٥): ﴿وَنَزَّلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة/٢١٣). وقيل: وصف لصفة الله عزوجل على الاسناد المجازي، ويجوز ان يكون الاصل: الحكيم قائله، فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه، فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة) (ابوحيان، ٢٠٠١م: ج٧/١٧٨-١٧٩) و«قيل: الحكيم بمعنى المحكوم فيه، أي: حكم الله فيه بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، بالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول» (القرطبي، ١٣٧٢ش: ج٨/٣٠٥).

الإفراد والجمع

إن ظاهرة الإفراد والجمع ظاهرة أسلوبية فيجب أن نتأمل فيها، والمتأمل يجد فيها ظرافة وطفرة. كما تتحقق لنا من خلال الانسجام بينهما طرائف بلاغية ولكن النصوص القرآنية تقتضي استخدامهما بشكل يتناسب مع المعنى فتارة يستخدم الجمع وتارة يستخدم الإفراد، ففي هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُورًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (لقمان/٧) وهذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ﴾ (لقمان/٨). جاءت كلمة العذاب في الآية الأولى على صيغة المفرد علماً أن عدد المستكبرين كثير، في الحقيقة يريد أن يقلل من شأنهم وذكر "العذاب" بصورة المفرد ولم يذكر صيغة الجمع ليحقق بالعدول عن الجمع إلى المفرد لطائف بلاغية وصوتية: أي نعرف أن المستكبرين على كثرة عددهم فشأنهم ومكانتهم عند الله قليل فصورّ تقليل شأنهم. وفي

الآية الثانية يعظم الله شأن المؤمنين ويأتي "الجنة" بصيغة الجمع أي "الجنّات". الخطاب في الآية وإن كان خاصاً ولكنه يصبح عاماً في ما بعده لما نرى كثيرين يعاملون الآيات القرآنية معاملة الإنكار أو التجاهل أو التظاهر بعدم السمع الذي لم يكن له نتيجة إلا العذاب فإذا استخدم ضمير الأفراد (عليه، ولّي، لم يسمعها، أذنيه، بشره) في أسلوب تعريضي فجمع الأفراد والتعريض ليشمل الخطاب كل من يسمع الآية وهو من مصاديق الأوصاف الشخصية التي رسمها الله في الآية.

وأيضاً في هذه الآيات الشريفة: ﴿وَإِذَا تُنلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا...﴾ (لقمان/٧) و﴿... وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان/١٠). ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ...﴾ (لقمان/١٢). "آياتنا" و"أنزلنا" و"أنبتنا" و"آياتنا"، إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات يعدل عن المفرد إلى الجمع، وهو كثير في ما يختص بالذات الإلهية، إذ صيغة الجمع على التعظيم وغالباً تكون هذه الصيغة على شكل ضمير المتكلم، وضمير «نا» في السياق القرآني يدل على القدرة والسلطة والغلبة. «ولعلّ وظيفة الضمير "أنا" تتداخل مع الوظيفة الإيحائية التي تشير للمحتوى كقطب يمثل نواة دلالية رئيسية متعالية بعلو ألف المدّ» (أنا)، فشكل الضمير يحيل إلى صاحبه كذات موازية لهذا الألف الواقف والمعانق للسماء. البعد الدلالي للضمير "أنا" يلغي الآخر أو ينزل من قيمته، ويجعله في موقع المتلقي المستسلم والمؤمن بما يصله، وكأنّ الظلال الخفية للآخر تختفي مع وجود ضمير المتكلم الذي يكبرها شكلاً ومضموناً ومكانة وموقفاً، لأن بؤرة الإبلاغ متعالية. (الأخضر، ٢٠١٤: ١٣٢) وفي هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (لقمان/٢٧) استخدم الله سبحانه وتعالى، كلمة (أقلاماً) وجعله نكرةً تلازم وتناسب دلالة "ما" المتوغلة في الإبهام ليبالغ شدة المبالغة في عجز أدوات الكتابة وعجز من يستخدم هذه الأدوات ليكتب نعم الله، في حين استخدم البحر بالألف واللام للعهد الذهني الذي يدل على الحقيقة والجنس في ضمن فرد مبهم (وهو البحر) يزيد في الإبهام والمبالغة.

القيم التركيبية وبعدها التعبيري:

تهتمّ الدراسة الأسلوبية بالجانب النحوي أو التركيبي بما يخدم دراسته وتحليله والوصول إلى الطرئف البيانية الموجودة فيه. (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م: ٦٩) كثيراً ما يلفت انتباه القارئ تغيير في الأساليب التي يشمل عليها النصّ وهكذا الانتقال من الأسلوب الخبري إلى

الانشائي، أو الاختيار من بين الأساليب متقاربة أو متباينة، كالتقديم والتأخير والذكر والحذف والحركة الإعرابية. (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م: ٨٥). للنحو والبلاغة حدوده وأهدافه ومقاصده، ومن أظهر ذلك أنّ النحو يبحث عن الدلالات الحقيقية ويبين الجواز والخطأ في التعبير، فهو في نهايته معيار للصحة اللغوية. (دراز، ١٩٨٦م: ٧٣)

إنّ التركيب بمفهوميّه النحوي والبلاغي يقوم بدراسة الجمل والعبارات من حيث الفصل والوصل والتعريف والتنكير إضافة إلى مستويات الخطاب في النصّ مع ربط كل ذلك بالمعنى. (الرحموني؛ بوحمد، ١٩٩٠م: ٨) تظهر الكوامن الدلالية بالعلاقة الوطيدة بين المصرفات خاصة التركيب النحوي وبالنظام الحاكم على القوائد بين الوحدات اللغوية التي تكتشف: ﴿... يابني لا تُشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان/١٣). قيل إن الباء تتعلق بلا تشرك وقيل إنّ الباء باء قسم، وتعلقها ونفي تعلقها بـ(تشرك) يؤدي إلى الاتساع الدلالي كما «أكد سوسور على أنّ هذه التعددية تعبر عن وظيفة اللغة الواسعة» (أحمدي، ٢٠٠٨م: ٢١٩). المستوى التركيبي يستنبط من خلال الجملة وعناصر التركيب من فعل وفاعل ومفعول وغيرها من عبارات اسمية وفعلية. و«الأسلوب يمثل كيفية انتظام تلك العناصر من حيث مجيئها على أصل التركيب أو على غير الأصل من حيث التقديم والتأخير وهو يمثل الكيف والحركة داخل الحدود التراكيب النحوية» (الجنابي، ١٤٣١هـ: ١١). فبهذه العلوم تُعرف المعاني وتوضح الحجج وتُفسر الآيات، كما تظهر تلك المعاني بالإعراب.

عنصر الإعراب

يكون الإعراب للإبانة عن المعاني بالألفاظ ويؤدّي إلى الإفهام ويزيل اللبس، باختلاف أواخر الكلم. وهو يبين الكلمات من حيث موقعهما في الجملة، فيتضح المعاني وهذا من جمال وقوة اللغة العربية وله دور هام في فهم العبارات والتراكيب القرآنية، وفائدته تبيان المعاني والاستعانة به على إدراك السياق والتركيب اللغوي الذي لا يتبين إلا بعد العلم بموقعها الإعرابي. أبرز وظيفة للإعراب في اللغة العربية، كونه عنصراً من عناصر تحديد المعاني وقالوا فيه: هو الفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ و«أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها» (نهر، ٢٠٠٧م: ١١٥-١١٦) في الآية الشريفة: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (لقمان/٢٧) قال الرّماني: جاء البحر مرفوعاً مع أنّ التعبير بالنصب جائز، فجاء

الرفع لأنه استأنفه بالواو. (الرّماني، ٢٠٠٥م: ١٣٩) الرفع ليعطي دلالة القوة والتمكن وهو الأقرب للقصد والمعنى، والأدق والأحسن في التعبير وإثبات قدرة الله تعالى؛ لأنّ حركة الضمة تناسب الواو والواو تدلّ على الظهور والبروز وهذا أدقّ في التعبير عن إمكان تحقق المدّ وحتميته. وهذا يشكل ظاهرة أسلوبية، معتمدة على الاختيار بين إمكانات اللغة.

التقديم والتأخير

إنّ التقديم والتأخير من الوسائل اللغوية النحوية وله فوائد بلاغية كثيرة ويكشف عن البنية العميقة قد يؤدّي التأخير إلى خلل في المعنى، لهذا السبب يكون التقديم السبيل إلى التخلص من هذا الخلل. (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م: ٩٥). تستثمر قوانين النحو على وجه بلاغي يترجم عن العقل والوجدان، فالتقديم والتأخير معنى نحوي وراء أسرار بلاغية عالية. (دراز، ١٩٨٦م: ٧٤) إنّ التقديم والتأخير يمثل قمة الحرية في حركة وكيفية عناصر الجملة وللتقديم والتأخير دلالة أسلوبية (الجنابي، ١٤٢١هـ: ١٤) تؤدي إلى معنى من أنواع المعاني الذي سمّي في علم الدلالة بالمعنى الموضوعي حسب ما نرى في تقسيمات جفري لبيتش الواردة في كتاب الخطيئة والتكفير (الغذامي، ٢٠٠٠م: ١٢٥). للتقديم والتأخير والترتيب اللغوي أغراضٌ تراد في الأحوال والمقامات العدة، وله طابع نفسي يشير إلى حالة نفسية أو سلوك نفسي، أو طابع وجودي يشير إلى الترتيب الوجودي على ما ظهر في الواقع الذي يقبله العقل والمنطق، بحيث أصبح الترتيب والتقديم قرينة لإبلاغ معنى يراد أو غرض يرمي. فنترك الطابع النفسي إلى الحديث عنه تحت القيم الجمالية، ومن أمثله للطابع الوجودي ما ورد في هذه الآية الشريفة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾ (لقمان/٢٩) قدّم "الليل" لأنه أسبق من "النهار" في الحقيقة كانت الظلمة قبل النور وقدّم "الشمس" على "القمر" لأن الشمس سبقت القمر في الوجود، إنّ استمرار "الشمس والقمر" على حالهما دليل على استمرار الحياة والدنيا إنما هي أيام وليال. (السامرائي، ٢٠١٠م: ٥٤) الصورة النابعة عن هذا التقديم والتأخير، نظرا إلى دلالة حرف اللام الواقع في بداية الليل وفي آخره وحرف الراء الواقع في طرف النهار، تجسّد لنا مشهدا فيه حركية حيوية مستمرة تومي إلى الانطلاق والانضمام؛ لأنّ دلالة اللام اذا وقعت في بداية الكلمة تدل على الانضمام واذا وقعت في الاخير تدل على الابتعاد عن منزل ومكان كما ان الراء في الاخير تدل على الحركة والجريان والانسحاب والابتعاد.

هذه الآية: ﴿... يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣). وهذه الآية ﴿يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان/١٧). «كيف قدم في وصيته لابنه الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر، وقبل تقدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف فإنه أول ما قال: "يا بني لا تشرك" ثم قال: "يا بني أقم الصلاة"؟ فنقول: هو كان يعلم من ابنه أنه معترف بوجود الله فما أمره بهذا المعروف ونهاه عن المنكر، فإن المشرك بالله لا يكون نافياً لله في الاعتقاد، وإن كان يلزمه نفيه بالدليل، فكان كل معروف في مقابلته منكر. (فخر رازي، ١٤٢٠هـ: ج ١٢١/٢٥) ومن التقديم والتأخير على مستوى ترتيب السورة، ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (لقمان/٤) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان/٨) فينتظر السامع جواباً فكان في الآية الأولى منهما تحمل جواب الخير، فجاءت الثانية لكي تبين الثواب والجائزة بوضوح (جَنَّاتُ النَّعِيمِ) فقدّمت الآية الثانية تفصيلاً لما كان معمماً في الأولى. وهذه الآية الشريفة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (لقمان/٢٦) قدّم الجار والمجرور للتخصيص، فالتقديم والتأخير في الأصل يكون للاهتمام والعناية ومواطن العناية تختلف بحسب المقام وقد يكون لمراعاة معنى معين أو يكون لضرب من التوسّع في الكلام. (السامرائي، ٢٠٠٧م: ٥٤) من خلال الآيات التي تمّت دراستها، نتبين أنّ التقديم والتأخير يستخدم في أحيان لإثارة الفكر في البحث للوصول إلى السبب الحقيقي.

عنصر الحذف والذكر والتكرار

الأصل في الكلام هو الذكر ولا نحذف شيئاً إلّا بدليل سواء كان الدليل معنوياً أم صناعياً أم لفظياً، وقد توسّعت في الحذف توسّعاً كبيراً وهو يجري في كل نوع من الكلمات. (السامرائي، ٢٠٠٧م: ٧٥) وهذه الآية ﴿يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) إنّ الباء باء قسم، ونفي تعلقها بـ (تُشْرِكْ) ثم قدّر قوله تعالى بـ (يا بني لا تشرك) ثم ابتداءً فقال: «بالله» لا تشرك، حُذِفَ «لا تشرك» بما في الكلام من الدلالة عليه. فالتكرار يسلّط الضوء على نقطة خاصة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها وهو ذو دلالة نفسية قيمة. (عبد الرحمن، ٢٠٠٦م: ٨٦) إنّ التكرار ظاهرة لغوية لإرادة التوكيد والإفهام ويعدّ من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النصّ وهو إحدى الأدوات الجمالية وفيه دلالات متعددة. ففي ضوء نظام القرآن بعض العدول عن المعايير اللغوية والنحوية، على أنّه موافق لنظام العربية والقرآن

الكريم، نحو الحذف، وذلك بنظم القرآن وسياقه والمناسبة بين الآيات ومحتواها (العقيلي، ٢٠١٠م: ٣) من أدق أبواب البلاغة على تنوعها واتساعها هو الحذف وهذه الآية: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان/٢٨). "والفراء يقول: إن التقدير إلا كبعث نفس واحدة ويشير الفراء إلى أنه لو كان تشبيهاً للرجال، لكان مجموعاً وأكد هذا التشبيه للمفرد يراد به ضرب المثل للفعل. (الرماني، ٢٠٠٥م: ٢١)

في هذه الآية الكريمة: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان/١٤) ﴿وَأَنْبِئْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان/١٥). تكرر (إلي) ثلاث مرات، فيه تهديد ووعيد لكي يجد الناس الطريق الحقيقي ولا ينحرفوا عن الطريق واستخدام التكرار هنا وسيلة للإعادة والإلحاح والتأكيد وكان لتكرار الحروف علاقة وثيقة بالتأكيد. ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (لقمان/١٨) لو حذف "مرحاً" لفسد المعنى فذكر القيد ولّد معنى جديداً أصلح المعنى، والكلام دون ذكر قيد هنا غير مقصود، ويكون لبيان نوع الفعل فتكون القيود هي محطّ الفائدة. ﴿... يَا بَنِيَّ إِنِّي كُنْتُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنَّ فِي صَخْرَةٍ...﴾ (لقمان/١٦). حذف النون تشبيهاً على أنها، إن كانت صغيرة المقدار، "يأت بها الله" يحضرها فيحاسب عليها. وقد يحذف في التعابير القرآنية كلمة أو كلام وغيره، وكل ذلك لغرض وليس اعتباطياً. (السامرائي، ٢٠١٠م: ٨١) ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ (لقمان/١٨). قد يحذف من الجملة أحد ركنيها الأساسيين ففي هذه الآية الشريفة، حذف المسند لأننا نجد قرينة تدلّ عليه، والقرينة المذكورة في هذه الآية أي "خلقهن الله". نرى كثرة تكرار كلمة "الله" على كلمة "ربي" في هذه السورة، فإنه "الله" قبل كونه "رباً"، وكلمة "الله" تشمل جميع الصفات.

تأكيد ومبالغة

وقد تعددت طرق تأكيد الخبر في الأسلوب الخبري في هذه السورة ومما استخدم من طرق التأكيد، التأكيد بإن وأن: ﴿.. إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿... وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦) ﴿... وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) ﴿.. وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) ﴿... إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) ﴿.. وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢٣) ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) ﴿... أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣٠) ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣٤). والتأكيد

بقصد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ (١٢). والتأكيد باللام: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) ﴿وَإِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩). إن تنوع طرق تأكيد الخبر، يظهر تنوع الدلالة والمعنى، إن الله سبحانه وتعالى من خلال هذا التأكيد أبان عن عظم ما في هذه الآيات الشريفة من معان ودلالات ومن أعظم درجات التأكيد، هو ما اجتمع في المفردات من طرق التأكيد مثل استخدام إن واللام وجملة اسمية في هذه الآيات. إذا كان موضوع السورة العقيدة والتوحيد والنبوة والبعث والنشور ودار محورها حول عدم الإشراك بالله، وبر الوالدين، وأهمية العبادة، وفهم حقيقة الدنيا، والأدب، والتربية، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واليقين بالآخرة فالتأكيد على كل واحد من المذكورة أنفا يدل على أهميتها وأهمية الالتفات إليها. كما نرى سلسلة فكرية وسلوكية تأخذ كل حلقة منه برقاب أخرى.

إن عنصر المبالغة من أساليب يستخدم لبيان المقصود، وهو يلفت نظر المخاطبين إليه، وإذا نبين المقصود بسيطاً يمكن أن لا يهتم به المخاطب وهذه المبالغات مطابقة للواقعية ودون أي إفراط في بيان الحقيقة والمبالغة من محاسن الكلام ويؤثر في المخاطب تأثيراً كبيراً ﴿وَلِي مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ (لقمان/٧). "مستكبراً" مبالغة في التكبر وفي هذا الباب زيادة المبني تدل على زيادة المعنى أي تكبرهم وغرورهم كثير أمام الناس. وفي هذه الآية الشريفة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ...﴾ (لقمان/١٤). التشديد في التوصية، يدل على العناية والاهتمام؛ لأنه مختص بدقائق الأمور، ولم يذكر أوصي لأنه يختص بالأمور الحسية، فالتوصية تختص بالأمور المعنوية والباطنية لما فيها من المبالغة والكثرة. (الدوري، ٢٠٠٥م: ٨٠) وفي هذه الآية الشريفة: ﴿وَيَنْزِلُ الْعَيْثُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ...﴾ (لقمان/٣٤). إنه تعالى قال "نزل" عندما أراد الكثرة والمبالغة ولم يقل "أنزل"، لأنه يأتي عاماً في نقل الشيء من مكان عال إلى أسفل فإن بنية الفعل المزيد (أنزل) تقترن بأحد حرفي الجر: (إلى) أو (على) وأن الفعل (أنزل) متعدد لمفعول مباشر واحد وأساليب الفعل (أنزل) المقترنة بحرف الاستقرار (على) وأيضاً (إلى). (الجنابي، ١٤٣١هـ: ٧٩) وفي هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (لقمان/٣١) التضعيف في "صَبَّارٍ" لزيادة المعنى والمفهوم وللدلالة على التكثير والقوة والمبالغة، لعل ذلك يرجع إلى زيادة حروفها. وفي هذه الآية: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ...﴾ (لقمان/١١). لأسلوب الاستفهام دلالات متعددة، فصي هذه الآية، لم يقل "ما خلق"، بل قال "ماذا خلق" لأن في "ماذا" قوة ومبالغة ليست في "ما"

ولعل ذلك يعود إلى زيادة حروفها. وهذه الآية الكريمة: ﴿... أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ وَالْيَ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان/١٤) إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ شُكْرَ الْوَالِدَيْنِ بِجَانِبِ شُكْرِهِ، وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا عَلَى خُلُوصِ مَوَاعِظِ لِقْمَانَ لِابْنِهِ.

أسلوب الندى

إِنَّ النَّدَى أَسْلُوبٌ مِنَ الْأَسَالِيبِ الْإِنْشَائِيَّةِ وَفِيهِ يَتَمَّ تَنْبَهُ الْمُنَادِي، إِنَّ حُرُوفَ النَّدَى تَسْتَعْمَلُ لِنْدَاءِ الْبَعِيدِ وَأَمَّا الْهَمْزَةُ لِنْدَاءِ الْقَرِيبِ فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ الشَّرِيفَةِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣) و﴿... يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ...﴾ (لقمان/١٦). ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان/١٧). فِي هَذِهِ الْآيَاتِ فَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ أَدَاةَ النَّدَى "يَا" وَهِيَ تَسْتَعْمَلُ لِنْدَاءِ الْبَعِيدِ لَكِنَّهُ تَدَلُّ عَلَى الْقَرِيبِ، فَاسْتَعْمَلَتْ أَدَاةَ "يَا" إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمُنَادِيَ عَلَى رِغْمٍ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْمَكَانِ إِلَّا أَنَّهُ قَرِيبٌ إِلَى الْقَلْبِ وَحَاضِرٌ فِي الذَّهْنِ، وَجَاءَ "يَا" لِتَعْظِيمِ ابْنِهِ وَعَبَّرَ عَنْهُ لِصَدَقِ الْعَاطِفَةُ. يَبْدُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَعْمَلَ حَرْفَ نِدَاءِ "يَا" لِجَعْلِ عَظْمِ الْمَقَامِ كَالْبَعِيدِ الْمَكَانِيِّ لِتَوْسِيعِ دَائِرَةِ نَتَائِجِ الشَّرْكِ وَالظُّلْمِ وَتَنْفِخِمْ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّبْرَ وَلِبَيَانِ عَظَمَةِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَنْحَصِرُ عِلْمُ الْغَيْبِ بِهَا لِإِحْصَاءِ مَا فِي الصَّخْرَةِ مِنْ كَوَامِنِ الْأَعْمَالِ. وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى اسْتَعْمَلَ الْمُنَادِيَ مَصْغَرًا لِإِضْفَاءِ جَوْ عَاطِفِي عَلَى الْخُطَابِ لِیُشْرِحَ مَا عَلَى الْمَرْبِيِّ مِنْ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْأَسَالِيبِ الْعَاطِفِيَّةِ لِلْإِرْشَادِ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلِّي وَالْعَاطِفَةِ أَكْثَرَ انْتِاجًا مِنَ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ لِلْهُدَى وَالْإِهْتِدَاءِ إِلَى الْكَمَالِ.

عنصر الزمن

يَعْدُ الزَّمَنُ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي النُّحُويَّةِ وَيَقِيدُ وَقُوعَهُ بِوَقْتِ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَلِكُلِّ لَفْظٍ أَسْلُوبِيَّهَا فِي تَحْدِيدِ الزَّمَنِ وَأَنَّ الْأَزْمَنَةَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَحْتَاجُ إِلَى الْإِلْتِفَاتِ وَالِى التَّقْسِيمِ الْمُتَنَوِّعِ. (طليعات، ٢٠٠٠م: ١٩٥-١٩٦) فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِمْكَانِيَّاتٌ وَاسِعَةٌ وَكَثِيرَةٌ لِلتَّبْعِيَّةِ عَنِ الْجَزْئِيَّاتِ ثُمَّ إِخْفَاءِهَا وَرَاءَ الزَّمَنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان/٢٧). «لو» بِمَعْنَى الْإِمْتِنَاعِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا تُثْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا...﴾ (لقمان/٧). إِذَا الطَّرْفِيَّةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَكُونُ لِتَأْكِيدِ الْقَطْعِ وَالْيَقِينِ، فَتَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَا يَقْطَعُ الْمُتَكَلِّمُ بِوَقُوعِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وهذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان/١٢). في الآية الشريفة، ومن "يشكر" في التعبير عن "الشكر" بالمضارع دلالة على الاستمرار والدوام وفي "الكفر" بالماضي دلالة على المرة إشعاراً بأنّ الشكر ينفعنا مع الاستمرار لكنّ الكفر يتضررّ بالمرة الواحدة. لو كان الزمن في العربية معنى صرفياً يستتبط من الصيغ الفعلية لكان علينا أن ندرس ونبحث عن الزمن في أثناء دراسة الصيغ الصرفية على النحو المتبع في أكثر الدراسات اللغوية. (طليعات، ٢٠٠٠م: ١٩٧)

القيم الجمالية وبعدها التأثيري

وفي صعيد القيم الجمالية والبعد التأثيري يدرس مستوى الأداء الصوتي وتأثيره الجمالي في السمع وصلته بالمضمون والمستوى التصويري وأثره الجمالي على الخيال والعقل والمستوى النفسي وأثره الوجداني في المتلقي.

لهذا الأداء الصوتي قيمة كبيرة في الدراسات اللغوية، ومن بين كل المستويات البنيوية للغة يعدّ المستوى الصوتي أكثرها فهماً وليس مدهشاً أن تكون اللغويات قد قدمت الإسهام الكبير في دراسة النثر والنظم. والبنية الصوتية في اللغة العادية تكون إخبارية في جانبها الأعظم وتكون العلاقة بين الصوت والمعنى مسألة اتقاقية. يعتقد سيبويه بأنّ دراسة الأصوات مقدمة لابدّ منها لدراسة اللغة، وهذه الدراسة ضرورية لمن أراد دراسة النظام الصرفي. (حسان، ١٩٩٤م: ٥٠) إنّ السيبويه هو الرائد الحقيقي في الدراسات الصوتية العربية وأعماله في هذا المجال، هي الأساس لكل الأعمال الصوتية من بعده وهذا المستوى يدرس أصوات اللغة من زوايا متعددة من دون النظر الى وظائفها. (حاجي زادة، ١٣٨٨: ٥٨) واما في القرون الاخيرة إنّ السوسور هو الذي ركّز على اللغة من بين أنظمة الرموز، باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان. (عزام، ١٩٩٦م: ٧٧) يقول سوسور «إنّ الصوت باعتباره عنصراً مادياً... لا يملك إلّا دوراً مساعداً وهو مادة تستخدمها اللغة» (تشاندر، ٢٠٠٨م: ١٠٤). لقضايا الصوت أهمية كبيرة لفهم النصوص القرآنية وبيان وجوه إعجازه اللغوي. يظهر تحديد قيم التعبيرية الجمالية للأصوات داخل التراكيب. (نهر، ٢٠٠٧م: ٤٩). إنّ الجانب الصوتي قد يؤثر على المعنى بالتغنيم والنبر والاستفهام وأمور أخرى. وهذا المستوى يتحدث عن مخارج الحروف، وصفاتها من همس، وجهر وشدة ورخاء والإعلال والإبدال وعدد من القوانين الصوتية والقراءات. (الفراهيدي، ١٩٨٨م: ج١/٤٧-٦١). انتقلت البحوث الصوتية من الميدان

اللغوي، الى ميدان البحث في مناهج الأداء القرآني وتتابع سيرها عبر الزمان في هذا المجال بصورة حتي يومنا هذا ونشطت دراسة الأصوات في عصرنا أولاً على يد المستشرقين ثم بالدارسين العرب. (حاجي زادة، ١٣٨٨م: ٦٢)

فالدلالة الصوتية دلالة تستنبط من الأصوات التي تتألف منه الكلمة وتختلف دلالة الكلمات بحسب طبيعة الأصوات، فشدّة الصوت وجهره تدلّ على معنى قوي وأيضاً رخاوة الصوت وهمسه تدلّ على معنى فيه رقة ولين، والصوت فيه قوّة تعبيرية. والجهر هو ارتفاع الصوت في الشدة فالصوت المجهور من سمات القوة ما لا يكون لغيره ومما يفيد الجهر هو التهديد والوعيد. ومن التهديد والتبعية لعاقبة الكفر ما في قوله تعالى: ﴿نَمُتُّهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (لقمان/٢٤). ممّا يلاحظ في الآية صوت "الذال" والصوت المقابل له "الظاء" وهما حرفان مجهوران وفيهما ملامح من القوّة والتأثير. والهمس فهو ملمح صوتي يتسم بالليونة في طبيعته، فطبيعة الصوت المهموس، تشكل عنصر راحة وتقريب... ففي هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ﴾ (لقمان/٨) كأنّ المتكلم يريد أن يقرب المخاطب منه، فيهمس في أذنه والمؤمنون أو الصالحون من أقرب الناس الى الله تعالى، ففي الآية ألفاظ سهلة في طبيعة أصواتها (آمنوا، عملوا، الصالحات، جنّات، النعيم) تلاقت والمعاني المحببة للنفس وموافقة مع الأصوات المهموسة اللينة. وأيضاً في هذه الآية: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ﴾ (لقمان/٧). تحقّق في هذه الآية انسجام صوتي حيث اختتمت هذه الكلمات بحرف (الألف). كلمة "آياتنا"، "مستكبراً"، "وقراً".

في هذه الآية الشريفة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ﴾ (لقمان/٧). حقيقة "الوقر" هو ثقل السمع كأنه يسمع بعض الأمور ولا يسمع بعضها، فستعير للأشخاص الذين لا يستجيبون لدعوة الحق. (الدوري، ٢٠٠٥م: ٣٠٦) وإذا قارنا كلمة "وقراً" (بفتح الواو) الواردة في هذه الآية بكلمة "وقراً" (بكسر الواو) الواردة في الآية الشريفة: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وَوَقْرًا﴾ (الذاريات/٢) نرى أنّ الفتحة أخفّ من الكسر فجعل للثقل المعنوي في حالة أنّ الكسرة تدلّ على شدّة الحمل وثقله الذي يؤدّي الى احديداب الظهر وانكساره أحياناً كما نرى السحاب الثقيل هذا والكسر في الأشياء المادية أكثر بروزاً وظهوراً.

في هذه الآية الشريفة: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان/١٣). أتى

بأسلوب تصغير "يا بني"، إن لقمان يريد بالتعبير العاطفي أن يلفت عواطف ابنه ويريد أن يقول إن نصائحي مشفقة لكي يقبله ابنه، وهذا النوع من النصيحة يجب عادة أن تكون بهذا الأسلوب لكي يؤثر في النفوس، وهذا الأمر يدل على حسن خلق لقمان وعطفه لإبنه. أسلوب التصغير يتمثل «الوظيفة العاطفية التي تتجه الرسالة فيها نحو المخاطب لينقل مشاعر المتكلم الخاصة» (ياكوبسن، ١٩٩٣م: ٢٣). إلى روحه وقلبه ليؤثر فيه. وتقديم ماحقه التأخير في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان/٢٤) أي ليس علم القيامة إلا عنده، لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله تعالى. (عروسي حوزي، ١٤١٥هـ: ج٤/٢١٩) فعدم الإنتباه والعناية بهذا التجسيد اللغوي (عنده) وبالطاقة الموجودة فيه، يؤدي إلى إيجاد الخلل والنقص في التأثير؛ لأن النبرة الصوتية التي حصلت عبر تقديم الله ثم تقديم عنده على علم الساعة يفيد الحصر والقصر بالنبرة والضغط الصوتي على الله وعلى عنده.

النتائج

- إن الدراسة الأسلوبية واللغوية في السور القرآنية تكشف عن الجماليات والأسرار القرآنية. ومن أهم النتائج التي وصل إليها هذا البحث هي:
- إن القرآن الكريم اختار الأساليب والعبارات للتعبير عن المعاني وهذه الأساليب تعتمد على الواقعيات ولطائف بلاغية وتحمل دلالات واسعة ضمن نظم الكلام وسياقه وأسلوبه.
 - إن القرآن الكريم يخاطب النفس البشرية بأرقى أساليب التعبير فضلاً عن النظم القرآني وتركيب آياته التي جعلت أسلوبه معجزاً.
 - إن أسلوب الحذف والتكرار والذكر والتقديم والتأخير من الأساليب البليغة التي استعملها القرآن في إقامة الأدلة؛ إذ لكل واحد من هذه الأساليب تعددية الوظائف التي لا يمكن حصرها.
 - ساهمت الدراسة الصوتية في الكشف عن جماليات التعبير القرآني وذلك من خلال دراسة الأصوات وتكرارها والتوازن الصوتي.
 - تتمركز الظواهر الأسلوبية في السورة بشكل كثير حول الأفكار الرئيسة التي اشتملت عليها السورة، منها حقيقة الوحدانية والبعث والنشور.

- لكل واحد من الأساليب تعدد الوظائف في إضفاء الدلالة والمعنى بحيث نرى قد تتقابل بعضها ببعض وقد تجتمع معاً.
- المستوى التركيبي يهتم بدراسة الأساليب الانشائية والخبرية فقيمته تكمن في الإفادة المعنوية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأخضر، ابن السائح (٢٠١٤م). سيميائية الضمير "أنا" في الدلالات وبناء التأويل. مجلة سمات الدولية، السنة ٢، العدد ١، صص ١٢٨-١٣٧.
٢. أبوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف (٢٠٠١م). البحر المحيط. تحقيق عادل احمد عبد الموجود؛ وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. أحمدي، بابك (٢٠٠٨م). ساختار وتأويل متن. ط ٩، طهران: نشر مركز.
٤. البحراني، سيد هاشم (١٤١٦هـ). البرهان في تفسير القرآن. طهران: انتشارات بنياد بعثت.
٥. تشاندلر، دانيال (٢٠٠٨م). أسس السيميائية. ترجمة طلال وهبة، مراجعة ميشال زكرياء، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
٦. جاغان، سيمور (١٩٧١م). الأسلوب الأدبي. أوكسفورد: مطبعة جامعة أوكسفورد.
٧. الجبوري، جنان منصور كاظم (٢٠٠٥م). التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني (دراسة بلاغية). جامعة بغداد، قسم اللغة العربية بكلية التربية.
٨. الجنابي، أحمد نصيف (٢٠١٠م). البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية. الأردن: دار كنوز المعرفة العلمية.
٩. حاجي زادة، مهين (١٣٨٨ش). "دراسة آراء سيبويه الصوتية في ضوء البحث اللغوي الحديث". مجلة التراث الأدبي، السنة ٢، العدد ٥، صص ٥٥-٨٤.
١٠. حسان، تمام (١٩٩٤م). اللغة العربية معناها ومبناها. المغرب: الدار البيضاء.
١١. دراز، صباح عبيد (١٩٨٦م). أسرار الفصل والوصل. مصر: مطبعة الأمانة.
١٢. الدوري، محمد ياس خضر (٢٠٠٥م). دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٣. الرحموني، عبد الرحيم؛ بوحمد، محمد (١٩٩٠م). تحليل لغوي أسلوبى لنصوص من الشعر القديم. دار الأمان: مطبعة النجاح.
١٤. الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى (٢٠٠٥م). معاني الحروف. بيروت: المكتبة العصرية.
١٥. السامراي، فاضل صالح (٢٠٠٠م). الجملة العربية والمعنى. بيروت: دار ابن حزم.

١٦. السامرائي، فاضل صالح (٢٠٠٧م). الجملة العربية تأليفها وأقسامها. ط ٢، عمان: دار الفكر.
١٧. السامرائي، فاضل صالح (٢٠١٠م). التعبير القرآني. ط ٧، عمان: دار عمّار.
١٨. الشبّر، عبدالله (٢٠١٢م). تفسير القرآن الكريم. ط ٧، طهران: دار الأسوة للطباعة والنشر.
١٩. صادقي تهراني، محمد (١٣٦٥ش). الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن. ط ٢، قم: انتشارات فرهنگ اسلامي.
٢٠. الطباطبائي، محمد حسين (١٤١٧هـ). الميزان في تفسير القرآن. ط ٥، قم: دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزة علميه قم.
٢١. طبري، محمد بن جرير (١٤١٢هـ). جامع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، بيروت: دار المعرفة.
٢٢. طليعات، غازي مختار (٢٠٠٠م). في علم اللغة، الطبعة الثانية، دمشق: دار طلاس.
٢٣. عبد الرحمن، مروان محمد سعيد (٢٠٠٦م). "دراسة أسلوبية في سورة الكهف"، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية.
٢٤. عروسي حويزي، عبد علي بن جمعة (١٤١٥هـ). تفسير نور الثقلين. تحقيق سيد هاشم رسولي محلاتي، ط ٤، قم: انتشارات اسماعيليان.
٢٥. عزّام، محمد (١٩٩٦م). النقد والدلالة: نحو تحليل سيميائي. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
٢٦. العقيلي، حسن منديل (٢٠١٠م). النظام اللغوي للقرآن الكريم في دراسات القدامى والمعاصرين. جامعة بغداد، كلية التربية للبنات.
٢٧. عمر، أحمد مختار (١٩٩٨م). علم الدلالة. ط ٥، القاهرة: علم الكتب.
٢٨. الغدّامي، عبد الله محمد (١٩٩٨م). الخطّية والتفكير من النبوية الى التشريحية. طبعة ٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٩. غزالة، حسن (١٩٩٨م). "الأسلوبية والتأويل والتعلّم". كتاب الرياض، العدد ٦٠، تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، السعودية.
٣٠. فخر رازي، محمد بن عمر (١٤٢٠هـ). التفسير الكبير. ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٩٨٨م)، العين. تحقيق مهدي مخرومي؛ ابراهيم سامراي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٣٢. القرطبي، أبو عبد الله محمد (١٣٧٢ش). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة: دار الشعب.
٣٣. مكارم شيرازي، ناصر (١٣٧٤ش). تفسير نمونه. تهران: دار الكتب الاسلامية.
٣٤. نهر، هادي (٢٠٠٧م). علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. عمان: دار الأمل للنشر والتوزيع.
٣٥. ياكوبسن، رومان (١٩٩٣). النظرية الألسنية. ترجمة فاطمة الطبال بركة، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
٣٦. يوسف، أحمد (دون تا). "تحليل الخطاب من اللسانيات الى السيميائيات". مجلة نزوي، العدد الثاني عشر.

